تبصرة الإحسان بتقويم مسائل الإيمان لدى حزب التحرير

أبو البيان الوهابي
عمار عبد المنعم الدويك

تم تنـزيل هذه المادة من منبر التوحيد والجهاد

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.com
http://www.alsunnah.info

الإهداء

- إلى مجدد الزمان و قاهر الأمريكان الشيخ أسامة بـن لادن - حفظه الله من كل كيد و سوء - وإلـى رفيقـي دربه و جهاده : الدكتور أيمن و الشيخ سليمان.

- إلى الإمام المفترى عليه الشيخ الشهيد - بإذن ربه - : عبد الله عزام , والذي عاش مغبر القدمين في سبيل الله طيلة حياته .

- إلى مشايخ الجهاد كأبي محمد المقدسـي - فـك اللـه أسره - و أبي قتادة الفلسطيني - فك اللـه أسـره - و أبي بصير الطرطوسي - حفظه الله - أسـأل اللـه أن ينفـع بهـم الأمـة و أن يحفظهـم شـوكة فـي حلـوق الطواغيت.

- إلى الشهداء - بإذن ربهـم - : طـارق دوفـش, طـارق أبو اسنينة , و أحمد بدر الذين سبقوني إلـى مـا دعـوا إليه وإلى جميع الشهداء أسأل الله أن يجمعني بهم.

- إلى الأسد القابع خل ف الأسـوار : مـراد عرفـة أسـأل الله أن يفك أسره و إخوانه.

- إلى شيخي الصغير سناً العظيم قدراً أحسبه كـذلك و لا أزكـي علـى اللـه أحـدا, والـذي أرشـدني إلـى هـذا الطريق فجزاه الله عني كل خير.

- إلى العقلاء من شباب حزب التحرير و الذين جمعتني بهم أيام وأعوام فاستفدت خيرا كثيرا - أسأل الله لي و لهم الهداية - .

الفقير إلى عفو ربه : عمار

فتوى للشيخ عبد المنعم مصطفى حليمة (أبو بصير) في حزب التحرير

س : هل ترى كفر من اعتقد بمبادئ حزب التحرير ..؟!

جـ : الحمد لله رب العالمين. أقـول : لا .. لا نـرى كفـره .. فحزب التحريـر مـن جملـة الأحـزاب الإسـلامية المعاصـرة الـتي لهـا وعليهـا .. ولـو اسـتطاع الحـزب أن يتحـرر مـن التعصب لبعض المسائل والمواقف، والسـلوكيات الخاطئـة .. التي عُرف بها وعُرفت به .. لكان فيه خيراً كثيراً .. وقـد عنينا بعض أفكار ومبادئ الحزب بشيء من الرد فـي كتابنـا " الطريق إلى استئناف حياة إسلامية وقيام خلافـة راشـدة على ضوء الكتاب والسنة " فليراجعه من شاء.

سؤال طرح على الشيخ في ميدان التوحيد للحوار

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد رأيـت بيـان تجربـتي مـع أحـد التكتلات المشـهورة فـي ساحة الدعوة والمثيرة للجدل ألا وهو حـزب التحريـر، وقـد

أكلت هذه التجربة من سني العمر سبعا، سبرت فيها فكر الحزب وبلوت قناعاته، ونظرت لها بين الناس ردحاً من الزمن معتقدا صوابها إلى أن قدّر الله لي أن أنظر في منهج أهل السنة والجماعة –منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم- وأطّلع على معالم مدرستهم الفكرية، فأقبل صنع الله من حيث لم أحتسب، وجاء لطفه من حيث لا أرتقب؛ فالحمد لله حمد الإخلاص على حسن الخلاص.

وإني أعلم أنني بكتابة هذه الأوراق أستوقد نار غضب الكثيرين من الهوام ممن أعمتهم أدواء العصبية الحزبية، وأقتدح جمر غيظ العديد من العوام الذين لا يميزون بين ظلمة الليل وضوء النهار ولا بين الثيبات والأبكار. ومؤونٌ أنني سأرمى -كما رمي غيري- بسيل من الاتهامات العليلة، وسيقذف عرضي بشتى الظنون الكليلة فإن الاتهام وسوء الظن هما سلاح المفلسين الذين اعتادوا العيش في أوضاعهم الداجية، وسيف متعصبة المقلدين الذين يشهرونه على كل متمسك بهدي أعلام الملة العالية،وهذا كله لا شيئ في جنب رضوان الله ومغفرته ؛ ويعزيني في هذا الطريق السلفي - وأنا لا زلت في أوله - قول الحق عز وجل : (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيبا) [1] وإني أقولها صريحة ولا بأس بروايتها ا عني : إنه لا يهمني رضا أهل التعصب الحزبي فلست عانساً تطلب بعلاً حتى أتزين لأي خاطب، ولست بائعاً يطلب رواج سلعته حتى أهتم برغبات أي راغب، وليت الأمر يصل بهم إلى احمرار العينين وانتفاخ الأوداج وزمزمة الشفتين؛ فإني أحتسب عند المولى عز وجل سخطي عليهم كما احتسب أبو برزة الأسلمي [2] رضي الله عنه سخطه على أحياء قريش بعد أن فتحت عليهم الدنيا، وأردد حيالهم قول الشاعر - لله دره - :

وإن يكن الرحمن ليس بساخط فلست بسخط العالمين أبالي

وأعلم أيضا أنه قد يفرح بها -للوهلة الأولى- المرتدون من الطواغيت ومن شايعهم من أذناب الكفر وأزلامه المخلصين، والذين يحاول الحزب صراعهم فكرياً وكفاحهم سياسيا، وذلك لا يزعجني لسببين اثنين :

---

[1] سورة الأحزاب آية 39.

[2] صحيح البخاري - كتاب الفتن - باب: إذا قال عند قوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه.

الأول : أني واثق أنه بمجرد اطلاع بسيط منهم على بعض هذه الأوراق سيعلمون أني لم أخط هذه الكلمات وأرصف تلك العبارات لسواد عيون الطواغيت أو بياضها وإنما هو جهد المقل في نصح شباب الإسلام التائق لنصرة دين الله؛ حتى لا تضيع الجهود في تجارب محكومة بالفشل، وكي لا تبعثر الطاقات في سبل يكثر فيها الخطل، وليس من رأى كمن سمع.

الثاني : أن أهل السنة والجماعة يوالون المسلم بقدر ما معه من دين الله مع براءتهم من البدع التي قد يتبناها، والتحريريون وأخص العقلاء منهم فيهم خير لا بأس به لا سيما في التصدي لضلالات الحكومات وكشف عوار مشايخ السلاطين فذلك ليس موضوع خصومتنا معهم - كما هو الحال عند غيرنا - بل نحن نساندهم في ذلك و نشد على أياديهم فيه , و لا تمنعنا بدع تبنوها ومحدثات دعوْا إليها ظانين صوابها من أن نقوّمهم بميزان العدل الذي قامت به السماوات والأرض, و والله الذي لا إله إلا هو لولا أن انحرافهم علني و إصرارهم على الباطل في بعض فكرهم جلي ما عنيتهم بالرد , فحذاء المسلم أحب إلينا من الطواغيت و أذنابهم فلا نشمت بهم أو بأي مسلم غيرهم أحداً من أعداء الإسلام ولكن الحق أحب إلينا من الكل وحيث لم يُجدِ أسلوب(رفقا بالقوارير) كان لابد من البيان.

وقد علمنا الله جل في علاه أن البشر ليسوا حكاماً في دين الله وإنما هم محكوم عليهم فلا يستدل بهم وإنما يستدل لهم، وعلمنا أيضاً أن تبرئة المنهج مقدمة على تبرئة الأشخاص والهيئات، والإسلام يصف المخطئين بالخطأ إذا أخطأوا وبالانحراف إذا انحرفوا..تأمل معي أخا التوحيد كيف وصف الحق سبحانه أول الأنبياء وأبا البشر -عليه الصلاة والسلام- بالغواية لما لم يمتثل أمر الله : (وعصى آدم ربه فغوى) [3] وذلك تحذيرا من الانحراف عن شرع الله.

ولا يخفاك أيها القارئ الكريم أني كنت أحدث نفسي بطرق باب هذا الموضوع منذ مدة، ولكنني لم أنهض لأعبائه ولم أعل لتبعاته لأمور شتى منها أني أعتقد أن الخصومة مع أهل الكفر من الصليبيين و الطواغيت و جنودهم و أشياعهم أولى في هذا الوقت من الانشغال بالردّ على أهل البدع و الإجهاز على شبهاتهم , و منها أن كثيرا من المتعصبين

---

[3] سورة طه آية 121.

للحزب المحترقين بناره سلقوني أنا وأخ عزيز بألسنة حداد بعد خروجنا من الحزب، متسلطين على أعراضنا بقوارص الإفك ووالغين في أشخاصنا بقوارع الشك؛ فخشيت أن تختلط النيات وخفت أن تلتبس المقاصد والغايات فيكون للنفس في هذا الرد من حظ. ومنها أني مشغول ببعض الأعمال العلمية الدعوية والتي منها : صف مرافعة الشيخ عمر عبد الرحمن –حفظه الله ورعاه- أمام القضاء المصري في قضية الجهاد على جهاز الحاسوب تمهيداً لنشرها على الشبكة العنكبوتية. غير أني نشطت للأمر حينما رأيت القوم مع جهلهم يزدادون عجبا، ويظنون أن السكوت عنهم عجزا، فكان لا بد من حسم بوادرهم وتقليم أظافرهم وإفهامهم قدرهم حتى لا يتجاوزوه، وإلزامهم حدهم حتى لا يتخطوه، وقد أشار عليّ بعض الأصحاب أن أتجرد لكشف شبهات القوم، وأن لا أتعرض لغمزهم لأشخاصنا فطاب لي الأمر، وانشرح به الصدر، فلا أقول إلا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- : (هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدى حدود الله فيّ بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية فأنا لا أتعدى حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتما بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس، حاكما فيما اختلفوا فيه، قال تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) وذلك أنك ما جزيت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقال تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط)) [4] و قد ثبت عندي بيقين أنه لا يمكن الفصل بين أهل الكفر و أهل البدع من حيث العداوة و الخصومة وان على الداعية أن يسير فيهما بخطين متوازيين.

وإني إذ أتوجه بهذا العمل إلى أبناء الإسلام عموماً وأخص به الشباب السلفي المجاهد؛ فإني لا أنسى أن أخاطب عقلاء التحريريين –وهم أفاضل وكرام- وقد تربيت في كنفهم منذ نعومة أظفاري وأقول لهم : لطالما رددتم أمامنا أن الذود عن حياض الإسلام والأمة مقدم على الذود عن حمى الحزب و الحركة؛ فكونوا مع الدليل الصحيح في جميع موارده ومصادره لا يردكم عن الخضوع له راد ولا يصدكم عن القول بموجبه صاد، واعلموا أنه ليس في جمودكم على الباطل إلا محض التنقص لكم، والازدراء عليكم، والاستصغار لشأنكم، وهذا الأمر شين ومعرة

---

[4] فتاوى ابن تيمية ج 3ص 155.

وقلادة سوء يربأ العاقل بنفسه أن يتقلدها. أما أهل التعصب الحزبي - وما أكثرهم عدداً ولكنهم في النائبات قليل - ، والذين طبع الله على قلوبهم وسلبهم نور التوفيق؛ فعموا عن طريق الرشاد وضلوا عن سبيل السداد فمثلهم لا يستحق توجيه الخطاب إليه ولا يستأهل الاشتغال به؛ لأنهم لم يعتقدوا الأمر بفهم حتى يرجعوا عنه بفهم آخر فهؤلاء لا يرد عزتهم ولا يثني عنانهم إلا الذي خلقهم إن شاء، ومما يعقد الأمر عليهم ويزيده صعوبةً أن في الإقرار بالخطأ والرجوع إلى الصواب تشتت جمع وانقطاع نظام واختلاف إخوان عقدتهم النِحلة، والنفوس لا تطيب بذلك إلا من عصمه الله ونجاه.

ولا تلن لهم أيها القارئ الكريم أعطاف رحمتك أو تخفض لهم جناح شفقتك فتدعوني إلى ترقيق العبارة؛ فإن العصبية منتنة أياً كان حاملها ومهما كان واقعها [5]، وهي لقاح الشرك بالله الذي لا يعقب إلا ندما وداعية التفرق المذموم الذي لا يورث إلا سدما , فينبغي للناصح لنفسه أن يأخذ حذره منها وأن يحصن رأيه من الوقوع في حبائلها فهي داء عضال يفسد أكابر الرجال.

إن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالك ناجيا

ويعلم الله أني لا أقصد بشدة العبارة إساءة و لا تجريحا, ولكن المسلم للمسلم كاليدين تغسل إحداهما الأخرى, وربما احتاج المرء أن يفرك بشدة يدا بأخرى إزالة لما علق بها من القذر.

وقد رأيت أن أحصر البحث في عقيدة الحزب في باب الإيمان خشية من الإطالة - وإن كانت أخطاء الحزب في غيرها من أوجه العقيدة تحتاج نقاشا موسعاً وحواراً طويلا - والعاقل تكفيه إشارة والجاهل المتعصب لا تردعه ألف عبارة , و لعلي أشرع في جمع مادة علمية للتصدي لها في المستقبل إن كان في العمر بقية , وقد اعتمدت على ما سطره الحزب في أدبياته، ووثقت آراءه من كتبه وفتاويه ونشراته، ولم أسمح لنفسي أن أنسب إلى القوم قولا دون أن آتي ببرهانه الذي لا ينهدم، أو أعزو إليهم رأيا دون أن أشفعه بدليله الذي لا ينكلم؛ وذلك امتثالاً لأمر الله بالتثبت، وأعرضت عن ذكر أشياء أعلمها لا أملك بين يدي الآن دليلاً

---

[5] وطنية كانت أو قومية أو حتى حزبية فتنبه.

لها، عسى أن ييسر الله حصولي على أدلتها, والله أسأل وإليه أضرع وأتوسل أن أكون وفقت في تبصير المجاهد بمواقع قدمه؛ كي لا يرخي سمعه إلى كل صيحة، ولا يرسل فكره للنظر في كل فكرة فإن صواب منهجه أصل أصيل لا تقوم لهدّه شبه تقوم هنا وهناك،وأسأله تعالى الإخلاص في القول و العمل و أن يختم لنا بالشهادة في سبيله إنه جواد كريم, والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل . (فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) (6).

المبحث الأول
توطئة في بيان هذا الباب

يرى أهل السنة والجماعة أن باب الكفر والإيمان من أهم أبواب الدين، إذ به يتضح الفرقان بين المسلم والكافر في أحكام الدنيا والآخرة، وهو أول مسألة تنازعت الأمة فيها وكانت في دائرة الأصول , فلا يخفاك ما فعله الخوارج الحرورية المارقون من إخراج عصاة الموحدين من الملة وما جرّه ذلك على الأمة من سفك دماء وتناثر للأشلاء -نسأل الله السلامة- ومن هنا عني أئمتنا رضي الله عنهم ببيان هذا الأصل وإيضاحه، وحرصوا على الرد على المخالفين من فرق البدعة والضلال وطوائف المحدثات والسفال (7) حتى لا تضل الأفهام في بدع متراكمة ولا تزل الأقدام في ضلالات متزاحمة.

وقد رأيت قبل أن أبين تلبس القوم ببدعة الإرجاء أن أعرض لبعض مفاهيم هذا الباب بالتفسير والتحرير؛ فيبصر القارئ الكريم مواطن الصواب مشفوعة بأدلة السنة والكتاب قبل أن يرى مواقع السقط ويعلم مواطن الغلط، وذلك سيرا على قاعدة : (رسم الخط المستقيم أمام الخط الأعوج حتى يظهر عواره) وداعيا له إلى المقارنة بحق حتى يظهر له الحق، ومذكرا بأن الحق (ما زال مصونا عزيزا نفيسا كريما لا يُنال مع الإضراب، وعدم التشوق والإشراف إلى سببه، ولا يهجم على البطالين المعرضين،

---

(6) سورة الأنعام آية 104.

(7) أنظر إن شئت :المجلد السابع من الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ,ونقد مقالات الخوارج و المرجئة في كتاب الفصل لابن حزم,وكتاب مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى الفَرّاء الحنبلي ,وكتابات ابن القيّم و غيرهم.

ولا يناجي أشباه الأنعام الضالين) [8] ومن هذه المفاهيم [9] :

1. لقد تضافرت أدلة الشريعة من كتاب وسنة وإجماع في بيان حقيقة الإيمان ومسماه، وصرح بذلك الأئمة الأعلام والفقهاء ذوو الأحلام مبينين أنه اعتقاد بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح، وإليك التفصيل والبيان :

أما من حيث الكتاب العزيز : فيقول الحق جل في علاه : (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) [10] فنفى الإيمان عن غير هؤلاء؛ فمن كان إذا ذكر بالقرآن استكبر وأعرض عن فعل ما أوجبه الله عليه لم يكن من جملة المؤمنين. وقال تعالى : (فلا صدّق ولا صلى ولكن كذّب وتولى) [11] فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل كما نفاه عمن كذّب، ويؤيد ذلك قوله عز وجل في سورة النور : (ويقولون آمنا بالله والرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) وغير ذلك من الآيات.

أما من حيث السنة : ففي حديث وفد عبد القيس - وهو حديث متفق عليه - أن الرسول صلى الله عليه و سلم قال : (أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟) قالوا : (الله و رسوله أعلم) قال : (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة و صيام رمضان و أن تعطوا من المغنم الخمس) ففسر الإيمان بالأركان العملية للإسلام وهذا أمر زائد عن مجرد التصديق, و في الحديث المتفق عليه قال عليه الصلاة و السلام : (الإيمان بضع و سبعون أو بضع و ستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله و أدناها إماطة الأذى عن الطريق و الحياء شعبة من الإيمان) ومن أراد المزيد من النصوص فليرجع إلى أبوب الإيمان من كتب الحديث و مراجعه.

أما من حيث الإجماع [12] : قال الشافعي : (وكان الإجماع من الصحابة و التابعين من بعدهم ممن

---

[8] من عبارات العلامة صديق حسن خان في كتابه قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر.

[9] استفدت هذه التنبيهات من:أعمال تخرج صاحبها من الملة للشيخ الفاضل أبي بصير: (عبد المنعم مصطفى حليمة) حفظه الله و رعاه.

[10] سورة السجدة آية 15.

[11] سورة القيامة آية 31.

أدركناهم أن الإيمان قول و عمل و نية و لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر) [13] وقال البغوي : (واتفقت الصحابة و التابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان) [14] و ممن نقل إجماع العلماء على ذلك إمامـا أهل الحديث أبو زرعة و أبو حاتم رحمهما الله تعالى : (أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا و عراقا و شاما و يمنا فكان من مذهبهم : الإيمان قول و عمل يزيد و ينقص) [15] فهل بعد هذه النقولات الصحيحة الصريحة من محيد؟ ولم يكن المقصود الاستيعاب و الاستقصاء.

2. بما أن الكفر نقيض الإيمان و الإيمان اعتقاد و قول و عمل فكذلك يكون الكفر اعتقاداً و قولاً و عملا , و مراد أهل السنة من كون الكفر يكون بالعمل ليس ما قرره الحرورية من أن من ارتكب كبيرة فهو كافر كما خطب عبد الله بن يحيى الأباضي عندما استولى على اليمن : (من زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شرب الخمر فهو كافر ومن شك في أنه كافر فهو كافر) [16] -اللهم إنا نبرأ إليك من ذلك- و إنما مرادهم أن الذنوب ليست على رتبة واحدة , فهي صنفان :

الأول : ذنوب غير مكفرة : وهي محرمات ينقص ارتكابها من الإيمان و لا ينقضه, و يشترط أهل السنة استحلالها للتكفير بها وهي من مثل : الزنا و السرقة و شرب الخمر و الرياء و عليها يحمل قول الطحاوي - رحمه الله تعالى - : (ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب مالم يستحله) [17].

الثاني : ذنوب مكفرة : أي إن من أتى بها كافر خارج عن الملة قد انتقض إيمانه و لو ادعى أنه لم يستحلها بقلبه

---

(12) ركزت في النقولات على إجماع الصحابة من باب التنزل إلى ما هو حجة عند الخصم ,وإن كنت أرى حجية إجماع المجتهدين.

(13) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج 7ص 309,وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ج 5ص 957.

(14) شرح السنة نقلا عن منظومة الإيمان للمراكشي.

(15) اجتماع الجيوش الإسلامية :ص 121نقلا عن منظومة الإيمان للمراكشي.

(16) الفرق بين الفرق للبغدادي ص 68.

(17) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص 316

و لم يقصد الكفر و قد جمع أئمة الفقه في أبواب الردة عدداً من الأقوال و الأفعال التي يصير مرتكبها مرتداً كمظاهرة الكفار و السحر و الاستهزاء بالشريعة و التشريع مع الله.

3. خالفت طائفتان في مسمى الإيمان, فلازمت طائفة لازم الإفراط و الغلو معتبرة أن مطلق العمل و أحاده شرط صحة في الإيمان ومن هنا كفروا عصاة الموحدين, و طائفة أخرى لازمت التفريط و الجفاء فأخرجت مطلق العمل من الإيمان و لم تعتبر شيئا منه شرطاً لصحته, ومن هنا قالوا : (لا يضر مع الإيمان ذنب) و هم المرجئة و هم أصناف و فرق اختلفت في تفاصيل ذلك و إن اتفقت على إرجاء العمل من الإيمان , فالإيمان عندهم هو التصديق أو المعرفة القلبية, وفرقهم هي :

غلاة المرجئة(الجهمية) : و يرون أن الأصل هو الكفر القلبي, وبالتالي فهم لا يكفرون بالعمل المجرد عن الاستحلال مطلقا, أي إنهم يشترطون الاستحلال للذنوب المكفرة بذاتها و التي قدمت لك أن مجرد إتيانها و اقترافها كفر و ردة , فهم لا يكفرون من شرع مع الله أو شتم الله أو ألقى المصحف في قذر إلا إذا إستحل , وفي بدعتهم يقول إمام أهل السنة أبو عبد الله أحمد بن حنبل : (من قال هذا - أي قول الجهمية - فقد كفر بالله و رد على الله أمره و على الرسول ما جاء به) [18].

المرجئة الكرامية : و يرون أن الإيمان هو الإقرار باللسان , و وافقهم في ذلك غيلان الدمشقي و الفضل الرقاشي, قال ابن أبي العز الحنفي : (و قولهم ظاهر الفساد) [19].

مرجئة الفقهاء : و يرون أن الإيمان يكون بالقلب و اللسان, ويكفرون بالعمل الذي ينبئ عن الكفر القلبي , فهو دليل على الكفر و ليس كفرا بذاته , قال ابن حزم رحمه الله تعالى : (قال هؤلاء : إن شتم الله عز وجل ليس كفراً لكنه دليل على أن في قلبه كفرا) [20].

---

[18] الإيمان لابن تيمية

[19] شرح الطحاوية ص 332.

[20] الفصل في الملل و النحل لابن حزم ج 3ص 199.

4. اشتد نكير السلف - رضوان الله عليهم - على بدعة الإرجاء و صاحوا بأربابها من كل جانب , رافعين لواء التحذير ومعلين صيحات النذير, لما يعلموه لهذه الضلالة من أثر كبير على تدين أبناء الإسلام , إذ أنها تفرغ الدين من محتواه وتتركه أرق من ثوب سابري, وإليك بعضا من تحذيراتهم : قال الإمام الزهري : (ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء)[21] و قال إبراهيم النخعي : (الخوارج أعذر عندي من المرجئة) [22] و قال سفيان الثوري : (تركت المرجئة الإسلام أرق من ثوب سابري) [23] وقال شريك عن المرجئة : (هم أخبث قوم, وحسبك بالرافضة خبثاً و لكن المرجئة يكذبون على الله) [24] و قال سعيد بن جبير : (مثل المرجئة مثل الصابئين) [25] وقال الإمام الآجري رحمه الله تعالى : (فالأعمال بالجوارح تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان ، فمن لم يصدق الإيمان بعمله ؛ مثل الطهارة والصلاة والزكاة والحج والجهاد وأشباه لهذه ، ورضى لنفسه بالمعرفة والقول دون العمل – لم يكن مؤمناً ، ولم تنفعه المعرفة والقول ، وكان تركه للعمل تكذيبا منه لإيمانه ، فاعلم ذلك .هذا مذهب علماء المسلمين قديماً وحديثاً ، فمن قال غير ذلك فهو مرجئ خبيث،احذره على دينك، والدليل على هذا قو الله عز وجل : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)) [26]

---

[21] الإيمان لابن تيمية ص 380.
[22] كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ج 1 ص 337.
[23] الإيمان لابن تيمية ص 380.
[24] ذكره الآجري في الشريعة.
[25] ذكره الآجري في الشريعة.
[26] أخلاق العلماء للآجري ص 28نقلا عن ظاهرة الإرجاء للحوالي.

المبحث الثاني
المناقشة التفصيلية لرأي الحزب

إن الناظر في ما خطه الحزب من أدبيات تتصل بهذا البـاب المتدبر فيها, يرى بوضـوح أن الحـزب لـم يصـدر عـن فكـر مستنير في بحثـه, وأنـه كحـاطب ليـل عمـي عليـه الأمـر و التبست عليه و جهته , فكان في عشواء مـن أمـره و غمّـاء من سيره إذ هو يدور غالباً بين تأصيلات الجهمية و تقعيدات مرجئة الفقهاء, وهذا يظهر أنه لا يدري ما أصل المسألة , و أنه يتكلم في غير فنه (ومن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب)فتعال معي أيها القـارئ الكريـم فـي جولـة نسـتطلع فيهـا أدبيات الحزب و نسبر غورها :

1. يـرى الحـزب أن الإيمـان هـو : (التصـديق الجازم المطـابق للواقـع عـن دليـل) [27] و إن كـان هـذا التعريف الصحيح الذي تدعمه الأدلة - حسب زعم الحزب - (إلا أنه يصح اعتباره عملا من الأعمال , ويصح أن يقال عنه قول و عمل كما أطلق عليه كثير من العلماء) [28] ويعلل الحـزب هـذا الأمـر بوجـود (تلازم عضـوي بيـن الإيمـان و التكاليف الشرعية) [29] وهذا لا يعني أن العمل ركن في الإيمان عند الحزب, فالأعمال ليست مـن صـلب الإيمـان و حقيقتـه أو نافيـة فعلا لوجـوده , وإنمـا يعنـي أن : (سـائر الأعمال المشروعة و التكاليف الشرعية لها علاقة مباشـرة

---

[27] دوسـية إزالـة الأتربـة ص 1 وحمـل الـدعوة وإجبات و صفات ص 69 وقد جمد الحزب تبني هذا الكتاب :أي أوقف إلزام شبابه به قولا و عملا و إن بقي الكتاب يعـبر عـن آراء الحزب.

[28] حمل الدعوة واجبات و صفات ص 69.

[29] نفس المرجع ص 69.

بالإيمان , فأعمال الإثم و المعاصي تضعفه و أعمال البر تقويه و لا تعني غير ذلك) [30] و يؤكد الحزب : (على أن الإيمان باب والأعمال باب آخر, وما إطلاق الإيمان على الأعمال و إطلاق الأعمال على الإيمان إلا بسبب التلازم وهو من باب المجاز و ليس من باب الحقيقة و الواقع) [31] وعند المناقشة يظهر بطلان هذا الرأي, وذلك من حيث :

أ . توصيف الحزب للإيمان على أنه : (التصديق الجازم....) و للأعمال بأنها إذا كانت إثما تضعف الإيمان و إذا كانت برا تقويه على هذا الإطلاق وهو ما يفيد أنها شرط كمال فيه يخالف النصوص الشرعية من كتاب و سنة - وقد قدّمت لك بعضها - و التي أدخلت العمل - جنسه و بعض آحاده - في مسمى الإيمان , و يخالف إجماع الصحابة - رضوان الله عليهم - و إجماع العلماء من بعدهم, وهذا يعارض ما أصله الحزب في شخصيته ج 3 من أن إجماع الصحابة حجة و دليل معتبر , وكفى بمخالفة الإجماع إهداراً لرأي الرائي و درءاً لاعتباره , بل إن بعض الأصوليين يرون أن مخالفة الإجماع كفر و ردة مخرجة عن الملة و العاقل يربأ بنفسه أن ينسب إلى خطة خسف كهذه.

ب . و يخالف هذا التوصيف ما صرحت به الآيات القطعيات و ما نطقت به النصوص الواضحات من كفر طوائف و أعيان مع إثبات التصديق لهم, فهم كفار مع كونهم مصدقين بمطلوبات العقيدة , وهذا كفيل بردّ هذا التعريف و جلي في هدّ هذا التوصيف, ومن هذه الآيات و النصوص :

يقول تعالى في حق فرعون - لحاه الله - : (حتى إذا أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين, الآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين) [32] فلم يقبل منه الإيمان , و يقول تعالى: (كدأب آل فرعون و الذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب) [33] ومع إثبات الكفر له يقول في حقه و حق قومه : (وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا فانظر كيف

---

(30) نفس المرجع ص 74.
(31) نفس المرجع ص 74.
(32) سورة يونس آية 90.
(33) سورة الأنفال آية 52.

كان عاقبة المفسدين) [34] و يقول تعالى على لسان موسى مخاطباً فرعون أيضا : (قال : لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات و الأرض بصائر و إني لأظنك يا فرعون مثبورا) [35] و العلم هو التصديق القلبي الجازم.

يقول تعالى في حق مشركي العرب : (و الذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) [36] فأثبت لهم الكفر و الشرك, ومع حالهم هذا يقول الله عز وجل : (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) [37] فمن قال إن الإيمان هو التصديق يكون بين أمرين حيال هذه الآيات لا ثالث لهما : إما أن يلتحف بجلباب العجب و يجرّ أذيال الكبر فيذهب بنفسه مذهب عدم الدينونة لدلالة هذه الآيات وفي هذا ما فيه من الهلكة , وإما أن يرجع إلى شواهد الحق الصادقة و يثوب إلى دلائل الصواب الناطقة فيقول بما قال به السلف الصالح رضوان الله عليهم من أن الإيمان قول و عمل و إعتقاد لا يجزئ أحد الثلاثة إلا بالآخر فهم أعلام الهدى و أئمة التقى.

هم الرجال و غبن أن يقال لمن لم يتصف بمعالي وصفهم رجل

ج. ولو كان الإيمان محصورا في دائرة التصديق لما جهل الصحابة - رضوان الله عليهم - معناه لأن رسوخ قدمهم و علو كعبهم في اللغة يحيل ذلك, ولكن لما انتقل الإيمان من المعنى اللغوي المعروف عند العرب و هو التصديق إلى معنى شرعي وهو قول و عمل واعتقاد احتاجوا إلى سؤال الشرع و التعلم منه و التلقي من معينه وفي حديث وفد عبد القيس خير شاهد , فقد سألهم النبي صلى الله عليه و سلم : (أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟) قالوا : (الله و رسوله أعلم) ...وفي مسند أحمد من رواية عمرو بن عنبسة أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه و سلم : (أي الإسلام أفضل؟) قال : (الإيمان) فقال الرجل : (وما الإيمان؟).

---

[34] سورة النمل آية 14.
[35] سورة الإسراء آية 102.
[36] سورة الزمر آية 3.
[37] سورة الأنعام آية 33.

د. ويخالف توصيفهم السابق لمسمى الإيمان و للأعمال ما قامت عليه الأدلة القاطعة و البراهين الساطعة من أن هناك أعمالا تناقض الإيمان و تجافيه وليس فقط تنقصه , وقد قدمت لك شيئا عن هذا في مقدمة هذا البحث عند حديثي عن الذنوب المكفرة , ومن هنا فقول الحزب : (فأعمال الإثم و المعاصي تضعفه - أي الإيمان -) على هذا الإطلاق غير سديد.

هـ. أما محاولة الحزب للتوفيق بين تعريفه للإيمان و الذي وافق فيه المرجئة وبين تعريف أهل السنة, و تعليل ذلك بكلام متهافت حاصله أن هناك تلازما بين الإيمان و العمل يفيد أن أعمال البر تقوي الإيمان و أعمال الإثم تضعفه , فإنها محاولة مضحكة (لو قالها صبيان يسيل مخاطهم لئيس من فلاحهم) [38] فأين الثرى من الثريا ؟و أين الظلام من النور؟وأين الظل من الحرور؟فالفرق بين التعريفين كبير و يعلم ذلك طلبة العلم المبتدئون قبل المعرقين .

فرق مبين واضح لكنه يخفى على العوران و العميان

وكذا على أهل الجهالة و الذي في ربقة التقليد كالحيران

ولينظر القارئ الكريم إلي تعريف أهل السنة للإيمان باحثا عن معناه ثم ليقارنه بما قدمه لنا الحزب في هذا المجال, أيمكن المساواة بينهما ؟أم أن أمام ذلك مفاوز و جبال تجاوزها الحزب نصرة لرأيه ولو بالباطل؟فكان حاله و حال هذا التعريف كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وتسهيلا عليك أيها القارئ الكريم أنقل لك بعض النصوص عن أئمة السلف و مشايخهم في بيان ذلك - وما عليك إلا أن تقارن - :

قال الحميدي (شيخ البخاري) : (سمعت وكيعا يقول : أهل السنة يقولون : الإيمان قول وعمل , والمرجئة يقولون :

---

[38] من عبارات ابن حزم في الفصل وهو يناقش مقالات المرجئة

الإيمان قول, والجهمية يقولون الإيمان معرفة - أي تصديق -) وفي رواية أخرى : (وهذا كفر) [39].

قال الآجري : (اعلموا -رحمنا الله تعالى وإياكم- : أن الذي عليه علماء المسلمين : أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق القلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح .ثم اعلموا : أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ المعرفة بالقلب، ونطق اللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث خصال : كان مؤمناً) [40].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - إمام الدعوة النجدية المباركة - : (لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب و اللسان و العمل, فإن اختل شيئ من هذا لم يكن الرجل مسلما, فإن عرف التوحيد - أي صدق به - ولم يعمل فهو كافر معاند ككفر فرعون و إبليس و أمثالهما) [41]وبهذه النقولات - والتي قصد بها التمثيل لا الاستيعاب - يظهر لك غاية الظهور و يتبين لك غاية البيان أن هذه المحاولة هي اضطراب في فهم مسمى الإيمان, وأن من يقول ذلك لم يلج إلى دائرة الإتقان وأنه إلى التعلم أولى منه إلى التعليم.

ز. أما قول الحزب بأن إطلاق الإيمان على الأعمال هو إطلاق مجازي و ليس من باب الحقيقة و الواقع, فأجيب عليه بما يلي : لقد تقرر في علم الأصول : أن الحقيقة أصل بالنسبة إلى المجاز أي إن الحقيقة هي الراجحة و المجاز هو المرجوح فلا يصار إلى المجاز إلا إذا قامت القرينة على أنه المراد باللفظ , ولم يأت الحزب ولو بقرينة واحدة لتنصر ما ذهب إليه من الفصل بين الإيمان و العمل على وجه الحقيقة, وقد قدّمت لك ما يكفي من الأدلة من كتاب و سنة و إجماع على أن العمل ركن في الإيمان فاشدد على ذلك يديك تنجو من مزالق الإرجاء وتسلم من مهاوي الأهواء وتكن صاحب بصيرة في دينك.

2. يقول الحزب : (لا يجوز تكفير أحد من المسلمين مادام يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله مستيقنا بها

---

[39] كتاب الإيمان لابن تيمية رحمه الله ص.
[40] كتاب الشريعة للآجري ص 120 .
[41] كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص 40.

قلبه , ومادام لا يجحد شيئا مما علم من الدين بالضـرورة و لا حكما ثبت بالدليل القطعي فقد روى مسـلم عـن عثمـان بن عفان : قال رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه و سـلم - : (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنـة) كمـا روى مسلم عنه صـلى اللـه عليـه و سـلم قـوله : (مـا مـن عبـد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده رسوله إلا حرم الله عليه النار)كما روى عن أبي هريرة عن النـبي - صـلى اللـه عليه و سلم - : (من لقيت يشهد أن لا إله إلا اللـه مسـتيقنا بها قلبه فبشره بالجنة)فهذه الآيات (*) صريحة في أن مـن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله مسـتيقنا بهـا قلبه يكون من أهل الجنة وليس من أهل النـار , ومـن كـان من أهل الجنة لا يكـون إلا مسـلما و لا يكـون كـافرا , وفـي هذا دلالة على أن المسـلم لا يكفـر بـذنب يرتكبـه مـادام لا يجحـد شـيئا معلومـا مـن الـدين بالضـرورة و لا شـيئا ثبـت بالدليل القطعي) (42) ثم نقـل نصـا للنـووي علـى شـرح مسلم تحت عنوان : (لا يكفر أحد من أهل القلة بذنب)ثـم قال : (لا تجعلوا تكفير المسلمين موضوع بحـث فـالله هـو العالم بالسرائر, وأمـا مـن يكفـرون المسـلمين فحسـابهم عند الله عسير, ولا تدخلوا معهم في مجـادلات كلاميـة) (43) وهذا الكلام لا تقوم به حجة و لا تنهض به محجة, وذلـك من حيث :

أ. في البدء أقرر أنني لا أسيء الأدب مع حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم التي يستدل بها الحزب و يضعها فـي غير موضعها, فحديث رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم على الرأس و العين , ومن ردّ حديثا فهو علـى شـفا هلكـة, ولكنـه لا يجـوز الاسـتدلال بالعـام دون الإتيـان بمخصصـه ويحـرم الاحتجـاج بـالمطلق دون الإتيـان بمقيـده, يقـول الشـاطبي رحمـه اللـه : (مـن اتبـاع المتشـابهات الأخـذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها , وبالعمومات من غيـر تأمل هل لها مخصصات أم لا؟ وكذلك العكـس, بـأن يكـون النص مقيدا فيطلق أو خاصـا فيعـم بـالرأي مـن غيـر دليـل سواه, فإن هذا المسلك رمي في عماية واتباع للهـوى فـي الدليل..) (44) .

(*) خطـأ مطبعـي نقلتـه كمـا هـو فـي المصـدر و المقصـود الأحاديث.

(42) الملف الفكري ص 139.

(43) نفس المرجع ص 139.

(44) الاعتصام للشاطبي ص 184.

ب. هذه النصوص التي علقت دخول الجنة وعلقت العصمة على قول : (لا إله إلا الله)وردت مطلقة أحيانا, ولكنه ورد ما يقيدها وجميعها تحمل حكما و سببا واحدا , فكان لابد من حمل المطلق على المقيد كما هي طريقة الراسخين من أهل العلم [45], ومن مقيداتها : حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم الصحيح : (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه و حسابه على الله)فقوله : (وكفر بما يعبد من دون الله) تقييد لها بالكفر بالطاغوت, وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - الذي رواه البخاري - : (أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقا بها دخل الجنة) وفيه تقييد لها بقيد الصدق أي الإخلاص, وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - الذي رواه البخاري - أيضا عن معاذ بن جبل : (حق الله على العباد أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا) و فيه تقييد لها بقيد العمل بمقتضاها, قال فضيلة الشيخ أبو بصير : (و لشهادة التوحيد شروط لا يصح توحيد المرء إلا بها - دلت عليها نصوص الكتاب و السنة - لابد من استيفائها جميعا لمن أراد أن ينتفع بها يوم القيامة) [46] وقد ذكرها مستدلا عليها فانظرها في مظانها إن شئت, ومن هنا فمن قال لا إله إلا الله ولم يأت بشروطها كاملة أو أتى بما يناقضها من قول أو عمل فإنه يخرج من الملة ولو قالها ألف مرة و حج البيت و اعتمر ألف مرة, يقول شيخنا المقدسي - فك الله أسره - : (وكذلك المرجئة تمسّكوا ببعض النصوص المتقدِّمة التي تبشِّر من قال لا إله إلا الله بالجنة فأرجأوا الأعمال وأهملوها واكتفوا في الحكم بالإسلام ودخول الجنة بالكلمة وحدها دون تحقيق مقتضياتها أو التزام لوازمها ، وإن كان ذلك مستطاعاً مقدوراً عليه. مع أن العلماء قد بيّنوا كما روى البخاري في صحيحه عن وهب بن منبّه أن "لا إله إلا الله مفتاح الجنة لكن لكل مفتاح أسنان فمن جاء بمفتاح له أسنان فتح ومن جاء بمفتاح ليس له أسنان لم يفتح" وأسنانها هي تحقيق شروطها واجتناب نواقضها . إذ لا يشك عاقل عارف بحقيقة دين الإسلام أن المراد من لا إله إلا الله هو معناها التي تتضمّنه من نفي وإثبات, أما أن يتلفّظ بها دون القصد إلى معناها أو دون تحقيق مقتضاها واجتناب نواقضها فهذا ليس هو مطلوب الله عزّ وجلّ .ولذلك قال سبحانه {فَاعْلَمْ

---

[45] امتاع النظر في كشف شبهات مرجئة العصر لشيخنا المقدسي - فك الله أسره - ص 35.

[46] تهذيب شرح الطحاوية لأبي بصير عبد المنعم مصطفى حليمة ص 32.

أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّـهُ } وقـال سـبحانه {إِلاَّ مَـن شَـهِدَ بِـالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}) (47) وأنقل لك أيها القارئ ما قاله الإمـام العلامة المحقق الشوكاني رحمه الله –فـإنه نفيـس - : (و هذه المسائل محلها علم الكلام و إنما ذكرنـا هـذا للتعريـف بإجمـاع المسـلمين علـى أن هـذه الأحـاديث مقيـدة بعـدم المانع و لهذا أولها السلف...) ($).

ج. أما استدلال الحـزب بقاعـدة : (لا يكفـر أحـد مـن أهـل القبلة بذنب مالم يستحله) و نقله في ذلك نصا عن النووي - رحمه الله - فإنه لا حجـة فيـه للحـزب فـي عـدم تكفيـره بالعمـل مطلقـا , فقـد بيّـن أئمـة أهـل السـنة و الجماعـة القـائلون بهـذه القاعـدة مرادهـم منهـا أكمـل بيـان, فقـد حملوها على الذنوب غير المكفرة كمـا قـدّمت لـك , يقـول الشيخ حافظ حكمـي : (و المـرد بهـا الكبـائر الـتي ليسـت بشرك ولا تستلزمه و لا تنافي اعتقاد القلب و لا عمله) (*) فقف يا عبد الله عند بيانهم و لا تبتدع.

د. أمـا قـوله : (لا تجعلـوا تكفيـر المسـلمين موضـوع بحـث...) فقـول غيـر سـديد إذ أن التكفيـر حكـم شـرعي يجب أن يبحث , وإلا لما وضع أساطين الفقـه أبوابـا للـردة فـي أمهـات كتبهـم, ولكـن المحظـور فيـه هـو الإفـراط و المغالاة أو التفريط و الجفاء, يقول شيخنا المقدسي - فـك الله أسره - : (مع أن التكفير حكم من أحكام الشـرع ، لـه أسبابه وضوابطه وشروطه وموانعه وآثاره ، فلا ينبغي الصد عن تعلمه أو التخذيل عن النظـر والتفقـه فيـه ، شـأنه فـي ذلك شأن سائر أحكام الشرع وأبـوابه .. فقـد عرفـت ممـا تقدم بعض الآثار المترتبة على إهماله .. وعرفت ما يرتبـط بهذا الحكم من مسائل وأحكـام فـي شـتى أبـواب الـدين .. وأنـه سـبب رئيـس للتميـز بيـن سـبيل المـؤمنين وسـبيل المجرمين ومن أهمله خلـط فيـه ، واختلطـت عليـه سـبيل المؤمنين بسبيل الكافرين والتبـس عنـده الحـق بالباطـل ، وحرم الفرقان والبصيرة في أهم أبواب الدين) (48).

---

(47) كشـف شـبهات المجـادلين عـن عسـاكر الشـرك و القوانين لشيخنا المقدسي ص 32

($) نيل الأوطار ج 1 ص 299.

(*) معارج القبول للشيخ حافظ أحمد حكمي ج 2 ص 284.

(48) الرسالة الثلاثينية فـي التحـذير مـن الغلـو فـي التكفيـر لشيخنا المقدسي ص 25.

3. لابد أن أشير أني وجدت للحزب تأصيلا جيدا في هذا الباب يماثل تأصيل أهل السنة و الجماعة فيه , وهي أن الحزب يكفر بالعمل الذي ينص الشارع على أنه كفر, يقول الحزب : (فأفعال الكفر التي يفعلها الكفار بموجب عقيدتهم التي أصبحوا باعتقادهم إياها كفارا هي أعمال كفر , وكذلك الأفعال التي قال الشارع عنها أن القيام بها كفر هي أيضا أعمال كفر) [49] ولكنه ناقض نفسه ونقض غزله بيده عند التفريق بين القول و العمل, حيث أنه يكفر بالقول الذي ينبئ عن الجحود القلبي وهو قول مرجئة الفقهاء , يقول الحزب : (وأما القول فإنه إن كان يدل قطعا على الجحود أي جحود ما أمر الإسلام بالاعتقاد به أمرا جازما وثبت عن طريق يقيني أي مما هو قطعي فإنه ينظر : فإن نقله عن غيره لا يكفر وإن قاله من نفسه يكفر سواء اعتقد أم لم يعتقد) [50].

4. بناء على هذا التخبط في فهم مسائل هذا الباب و نتيجة لهذا الاضطراب في التأصيل لها فقد أخطأ الحزب وأبعد النجعة في قضيتين مهمتين , ولم يفلح الفكر المستنير الذي يزهو به في إيصاله إلى كبد الحقيقة ولم ينجح في تعريفه بحقيقة الصواب فيهما مع أن دلائلهما نيّرة و لوائحهما مسفرة, وأنا لا أنحو على مؤسس الحزب باللائمة ولا أحيل عليه بالتعنيف , فهو شيخ كريم أحسبه حاول جهده فأصاب خيرا كثيرا وأخطأ في مسائل ليست بالهينة ولكن من ذا الذي ما ساء قط , ومن له الحسنى فقط ؟ يقول الذهبي : (ولو أن من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه و بدعناه لقلّ من يسلم من الأئمة معنا رحم الله الجميع بمنه و كرمه) [51] ولكني ألوم مقلديه الذين تتابعوا على رأي الرجال وكأنه دين مفروض وطريقة سنية متبعة يفسق من خرج عنها و يجرّم من أشار إلى هزالها - وحسبنا الله و نعم الوكيل - وهاتان القضيتان هما :

القضية الأولى : كفر الحكام المبدلين لشريعة الرحمن :

---

[49] دوسية سياسية للحزب ص 121 و تبتدأ :(بالاشتغال بالسياسة فرض على المسلمين) وتنتهي بالحديث عن مؤتمر القمة المختتم في 24/12/1969.

[50] نفس المرجع ص 120.

[51] سير أعلام النبلاء ج 14ص 376

لابد أن أسجل هنا - من أجل الإنصاف - أن الحزب عادى جميع الأنظمة الكافرة و خاصم جميع حكامها - ما في ذلك شك و لا مرية - فهو أفضل من غيره في موقفه العملي من الحكومات , لكن الأمر ليس في هذا , وإنما في نظرته العلمية الخاصة بكفر الحاكم المبدل لشريعة الرحمن و هي لا تقلّ خطرا و لا أثرا عن الموقف السلوكي , يقول شيخنا المقدسي - فك الله أسره - : (لا يليق بمن يواجه أعداء الدين و يسعى لتقويض بأطلهم أن يهمل معرفة حكم الله فيهم قبل ذلك , فيكون أعمشا في نظرته إليهم يحسن الظن بهم أو يظنهم داخل دائرة الدين) [*] وقد وقع الحزب فيها بخطأ جسيم و أتى بأمر عظيم عندما أصّل في الحكام تأصيل المرجئة, فلم يكفر منهم إلا من استحلّ هجر شريعة الرحمن - أي اعتقد عدم صلاحيتها - , وإليك التفصيل :

1. يقول الحزب : (وقد جعل الله الحاكم الذي لا يطبق جميع أحكام الإسلام أو يطبق بعضها و يترك بعضها الآخر كافرا إن كان لا يعتقد بصلاحية الإسلام أو لا يعتقد بصلاحية بعض الأحكام التي ترك تطبيقها , وجعله ظالما و فاسقا إن كان لا يطبق جميع أحكام الإسلام أو لا يطبق بعضها لكنه يعتقد بصلاحية الإسلام للتطبيق) [52] و هذا جلي في أن من ترك جميع أحكام الإسلام من الحكام المبدلين للشريعة وهو معتقد بصلاحية الإسلام للتطبيق لا يخرج عند الحزب من دائرة الإيمان - وإن أوقع عليه صفة الظلم و الفسق - !!, فالكفر مبناه عند الحزب على اعتقاد غير الإسلام ولا شأن للعمل, وهذا هو عين عقيدة المرجئة ,, ويقول الحزب - أيضا - : (إلا أن كون من يحكم بغير ما أنزل الله من المسلمين لا يكفر إلا إذا اعتقد به و إذا لم يعتقد به فإن هناك قرائن تدل على أن الاعتقاد بغير ما أنزل الله هو الذي يجعله كافرا لا مجرد الحكم) [53] وهذا التأصيل الذي ورد في كثير من أدبيات الحزب تفوح منه بوضوح رائحة الإرجاء الخبيث , فالمرجئة فصلوا الإيمان عن العمل لأن الإيمان عندهم هو التصديق و الكفر هو التكذيب, فمادام مصدقا لا يخرجه - عندهم - من الإيمان اجتراحه جميع المعاصي ما ظهر منها و ما بطن و اقترافه جميع الآثام المكفرة و غير المكفرة, ومن هنا : لم يكفر الحزب

---

[*] وقفات مع ثمرات الجهاد بين الجهل في الشرع و الجهل في الواقع - الوقفة الرابعة

[52] نظام الحكم الطبعة المعتمدة ص 240.

[53] الملف الفكري ص 55.

جميع الحكام , يقول الحزب : (ومسألة احتكام حكام المسلمين للكفر و محاربتهم للإسلام و ارتداد بعضهم عنه مما هو معروف مشهور) [54]و أردّ على هذا التأصيل المتهافت بما يلي :

أ. قامت أدلة الشريعة على التفريق بين ترك الحكم بما أنزل الله بمعناه الجوري وبين الحكم بغير ما أنزل الله بمعناه التشريعي الكفري , فترك الحكم بما أنزل الله بمعناه الجوري يعني : أن هناك حاكما ملتزما بشرع الله لا يدين إلا به و لا يحكم إلا بأحكامه ولكنه زلّ وعصى فترك حكم الله في وقائع محدودة , ولمعرفة حكمه ينظر : إن كان تركه من جهة الشهوة مع الاعتراف بالذنب فإنه لا يكفر مع اعتباره فاسقا ظالما, وإن تركه من جهة الاستحلال فإنه كافر - ولا نعمة له و لا كرامة - .وأما الحكم بغير ما أنزل الله بمعناه التشريعي الكفري - وهو حال جميع حكامنا - فإنه يعني : أن يترك الحاكم حكم الله بناء على أن أصله الذي يتحاكم إليه غير شريعة الله , فهو مستدبر تشريع أحسن الخالقين مستقبل تشريع المخلوقين , وهذا الفعل مهلكة لصاحبه و موبقة لفاعله لأنه كفر بواح و شرك صراح - بنفسه لا بالاستحلال - .

ب. الأدلة على أن التشريع من دون الله كفر - بنفسه لا بالاستحلال - :

قوله تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) [55]. فقد فرضت الآية الكريمة على الموحدين أن يردوا أمرهم عند التنازع إلى الله ورسوله وبينت أنهم لا يكونون مؤمنين بالله واليوم الآخر إن لم يلتزموا ذلك ؛ لأن الآية قد جعلت الرد إلى الله ورسوله - كما يقول الإمام ابن القيم - " من موجبات الإيمان ولوازمه , فإذا انتفى هذا الرَّد انتفى الإيمان ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه ولا سيَّما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر ... " [56].

---

[54] نشرة للحزب بعنوان :(وحدة المطالع أو فرقة الحكام) صادرة في : 24/رمضان/1420هجري الموافق 2/1/2000م.

[55] النساء : 59

[56] إعلام الموقعين :ج 1ص 40.

قوله تعالى : (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) [57] وفي هذه الآية تكذيب صريح و تفنيد فصيح لزعم من يزعم الإيمان و هو يتحاكم إلى غير شريعة الله من شرائع الطاغوت, قال الشيخ سليمان بن عبد الله النجدي [58] : " فمن شهد أن لا إله إلا الله ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول عليه الصلاة والسلام في موارد النزاع فقد كذب في شهادته".

قوله تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) [59] قال الشيخ محمد بن إبراهيم : " فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلت على أن قسمة الحكم ثنائية وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية الموضح أن القانونيين في زمرة أهل الجاهلية شاءوا أم أبوا بل هم أسوأ منهم حالاً وأكذب منهم مقالاً ، ذلك أن أهل الجاهلية لا تناقض لديهم حول هذا الصدد وأما القانونيين فمتناقضون حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ويناقضون ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا وقد قال تعالى في أمثال هؤلاء (أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) ... " [60].

قوله تعالى عن اليهود والنصارى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً سبحانه وتعالى عما يشركون) [61] قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ حول هذه الآية "فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله وبها اتخذوهم أربابا كما هو الواقع في هذه الأمة وهذا من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله ... " [62] وفي كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : (باب من أطاع العلماء و الأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله) و غيرها من الآيات. ثم لقد

---

[57] النساء:60.
[58] تيسير العزيز الحميدص 554.
[59] المائدة : 50.
[60] رسالة تحكيم القوانين ص: 11-12.
[61] التوبة :31
[62] فتح المجيد ص 82 .

قام الإجماع على كفر المشرع مع الله , فقد قال ابن كـثير : (فمن ترك الشرع المحكم المنزل علـى محمـد بـن عبـد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشـرائع المنسـوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين) [63] و قال اسحق بن رهـويه : (أجمع المسلمون أن من سب الله و رسوله أو دفع شيئا مما أنزل الله أو قتل نبيا من أنبياء الله أنه كـافر بـذلك وإن كان مقرا بكل ما أنزل الله) [64] و قال شيخ الإسلام ابــن تيمية : (و الإنسان متى حلل الحرام المجمع عليـه و حـرم الحلال المجمع عليه أو بدّل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء) [*].

2. وقد احتج الحزب على رأيه هذا بشبهات , و أناقش هنـا شيئا منها :

أ. يقول الحزب : (فالموضوع واحـد و هـو الحكـم بغيـر مـا أنزل الله و الموصوف متعدد و هو الكفر و الفسق و الظلم , فلا شك أن لكـل وصـف مـن هـذه الأوصـاف الثلاث حالـة تحصل في الموضوع فيوصف حينئذ بها , فالاعتقاد حالـة إذا وجدت مع الحكم بغير ما أنزل الله كان الحاكم كـافرا , وإذا لـم توجـد كـان ظالمـا أو فاسـقا..) [65] و الجـواب أنـه لا يسلم أن الموصوف متعدد, فالفسق يرد بمعنى الكفر كمـا يرد بمعنى الإصرار على المعاصي, كمـا فـي قـوله تعـالى : (إن المنافقين هـم الفاسـقون) [66] وكـذلك الظلـم يـرد بمعنى الكفر كما بمعنى المعاصي, كمـا فـي قـوله تعـالى : (ولا تدع من دون اللـه مـالا ينفعـك ولا يضـرك فـإن فعلـت فإنك إذا من الظالمين) [67] و الذي يرجح ذلك أن الآيــات نزلـت فـي اليهـود فكفرهـم و فسـقهم و ظلمهـم : كفـر و فسق و ظلم أكبر و لا يوجد عاقـل يقـول بـأنه أصـغر فتنبـه لهذا .

ب. يقول الحزب : (و الموضـوع هنـا رد الكفـار لمـا أنـزل عليهم و عدم حكمهم به فكفروا بذلك أي كفـروا بمـا أنـزل إليهم فكونهم كفروا بما أنـزل إليهـم و حكمـوا علـى خلافـه

---

[63] البداية والنهاية ج 13 ص 128.
[64] الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 40 .
[*] مجموع الفتاوى ج 3 ص 267.
[65] الملف الفكري ص 55.
[66] سورة التوبة آية 67.
[67] سورة يونس آية 106.

معتقدين بما حكموا به فصاروا بذلك كفارا فيكون من لم يحكم بما أنزل الله رادا له فإن هؤلاء هم الكافرون)[68] و يقول في نفس الصفحة : (فالحادثة نزلت في رد اليهود لرجم الزاني المحصن و حكمهم عليه بخلاف ذلك و هو الحد, فالموضوع أمران أحدهما : رد ما أنزل الله عليهم لأنهم يرونه غير صالح , الثاني : حكمهم بخلافه , ولذلك كان الرد لما أنزل الله شرطا أساسيا لاعتبارهم كافرين) وهذا الكلام غير دقيق من حيث : أن اليهود لم يحكموا بخلاف الرجم للزاني المحصن اعتقادا , ودليل ذلك ما رواه مسلم عن البراء بن عازب وفيه قول عالمهم : (نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه و إذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد) و إنما كفروا لتواطئهم و إجتماعهم على تشريع غير تشريع الله في المسألة , تأمل قولهم : (تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف و الوضيع فجعلنا التحميم و الجلد مكان الرجم) فأين ذكر الاعتقاد الذي تكلفه الحزب؟!وما يفعله حكام هذا الزمان بلا استثناء و برلمانيوهم هو عين ما فعله اليهود حيث إنهم اصطلحوا في دساتيرهم و اتفقوا في قوانينهم على تشريعات تصادم شريعة الله صراحة فانطبق عليهم ما انطبق على اليهود قطعا و ذلك لما يراه أهل الأصول من أن صورة سبب النزول قطعية الدخول في النص بالإجماع (*) .

القضية الثانية : شاتم الذات الإلهية و الرسول و الدين :

إن قضية شتم الذات الإلهية و الرسول و الدين ليست بالأمر الهيّن , و يتعلق بالحكم فيها آثار عديدة في الحياة , لذلك لابد للمتصدر للفتوى فيها أن لا يستهين بالأمر , لا سيما و قد انتشرت هذه الجريمة النكراء في ظل هذه الأنظمة الكافرة , والتي عاقبت على سب الذوات الملكية و لم تعاقب على سب الذات الإلهية - فحسبنا الله و نعم الوكيل - وقد سئل الحزب في الأمر فأفتى فيه بتأصيل الجهمية , أي إنه لم يكفر الساب مالم يستحل فعلته النكراء , مع أنه قد تضافرت الأدلة على تكفير من قارف هذه الجريمة دون النظر إلى الاستحلال , وإليك التفصيل :

---

(68) الملف الفكري ص 55.

(*) أفادني إياه شيخنا أبو البراء - حفظه الله - / انظر الإتقان للسيوطي ج 1 ص 61.

يقول الحزب : (سب الدين كفر إن كان قاصدا تحقير الدين و في نيته ذم الدين , أما إن كان يسب الدين عادة أو حين المشاجرة مع الغير فيعتبر معصية و ليس كفرا وما عليه الناس الآن يسبون الدين هذه الأيام أنهم لا يقصدون في غالبهم ذم الدين و تحقيره , فيكونون بهذا السب عصاة آثمين فقط و ليسوا كفارا مرتدين, العاصي و مرتكب الكبيرة لا تطلق منه زوجته و تبقى العلاقة الزوجية قائمة بين الزوجين)[69] و هذا الكلام من أبطل الباطل فقد قامت الأدلة من الكتاب العزيز و السنة المشرفة و الإجماع على كفر الساب لله و رسوله - صلى الله عليه و سلم و الدين - وأن هذه المعصية هي من الذنوب المكفرة فلا ينظر فيها إلى الاستحلال أو عدمه, وإليك الأدلة[70] :

1. الأدلة من القرآن العزيز :

أ. قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً)[71].

والدلالة على كفر الساب من الآية من وجوه :

أنه سبحانه (لعنهم في الدنيا والآخرة)، واللعن : الإبعاد عن الرحمة ومن طرده الله عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافراً، هذا بخلاف اللعنة من الرسول أو من المؤمنين بصيغة الدعاء عليه في الدنيا، كقوله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله آكل الربا وموكله) و(لعن الله السارق).

وأيضاً : كونه ذكر (العذاب المهين) ولم يرد ذكر العذاب المهين في القرآن إلا في حق الكفار، قال تعالى : {وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً} وقال : {وللكافرين عذاب مهين}، وأما غير الكافرين من المؤمنين المذنبين فلا يأتي بحقهم ذكر العذاب المهين بل العظيم ونحوه.. وذلك لأنه سبحانه قد قال : {ومن يهنِ الله فما له من مكرم} والإهانة : إذلال وتحقير وخزي.. وهو قدر زائد على العذاب لا يليق إلا بالكفار، والمؤمن العاصي قد يُعذب لكن لا يُهان..وأيضاً يدل على ذلك أن الله قد ذكر أن العذاب المهين قد أعدَّ لهم إعداداً.. والعذاب إنما أعدَّ إعداداً للكافرين، لأن جهنم إنما خلقت لهم مَوْئِلاً لا يستطيعون عنها حولاً وما هم منها بمخرجين؛ قال تعالى : {واتقوا النار

---

[69] الملف الفكري ص 139.

[70] نقلتها بنوع من الحرفية من كتاب:الصارم المسلول لأبي محمد المقدسي و أعمال تخرج صاحبها من الملة لأبي بصير.

[71] سورة الأحزاب آية 57

التي أعدت للكافرين}. أما أهل المعاصي من المؤمنين فيجوز أن لا يدخلوها إذا غفر الله لهم، وإن دخلوها فإنهم يخرجون منها بعد حين بتوحيدهم وإسلامهم.. هذا بالنسبة لكفر الساب..

ب.قول الله تعالى : (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) (72) أي : حذر أن تحبط أعمالكم، أو خشية أن تحبط، أو لئلا تحبط أعمالكم.ووجه الدلالة على كفر الساب من هذه الآية؛ أن حبوط العمل كاملاً إنما يكون بالكفر، قال تعالى : {ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم} وقال : {لئن أشركت ليحبطن عملك} بخلاف حبوط عبادة معينة بعينها لنقص شرطٍ أو نحوه..فإذا كان رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم من غير قصد ولا شعور يُخشى على صاحبه إن فعله من حبوط العمل الذي لا يكون إلا بناقض من نواقض الإسلام.. فكيف بسب النبي صلى الله عليه وسلم أو بسب الدين الذي جاء به من عند الله أو بسب الله تعالى بقصدٍ وشعورٍ وعن عمدٍ، لا شك أن فاعل هذا يحبط عمله من بابٍ أولى ويكون كافراً مرتداً إن كان ممن ينتسب للإسلام، وينتقض عهده وذمته فتذهب عصمة دمه وماله إن كان معاهداً أو ذمياً.

ج. يقول تعالى : (و إن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) (73) فسمى الله الطاعن في الدين إماما في الكفر , قال القرطبي : (استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين إذ هو كافر) (74) و قال ابن تيمية رحمه الله : (إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهرا و باطنا , سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلا له, أو كان ذاهلا عن اعتقاده هذا مذهب الفقهاء و سائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول و عمل..) (75).

د. قوله تعالى : (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب

---

(72) سورة الحجرات آية : 2.
(73) سورة التوبة آية:12.
(74) تفسير القرطبي ج 8 ص 82.
(75) الصارم المسلول ص 512.

طائفة بأنهم كانوا مجرمين) [76])فهذا نص بـأن الاسـتهزاء بالله أو بشيءٍ من دينه أو برسوله صـلى اللـه عليـه وسـلم كفرٌ وردةٌ بعد الإيمان، فالسب من باب أولى هـزلاً كـان أم جـداً، وقـد نزلـت هـذه الآيـات بسـبب قـوم كـانوا خـارجين للجهاد مع رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وصـدر منهـم اسـتهزاء ببعـض الصـحابة، ولمـا نزلـت هـذه الآيـات كـانوا يعتذرون ويقولون : (إنما كنا نتحدث حديث الركب نقطع به الطريق) أي : إنما كنا نتمازح ونلعـب ولـم نقصـد الكفـر أو نعتقده.. فلـم يقـل اللـه لهـم : (كـذبتم بـل كنتـم تعتقـدون ذلـك)! لكـن قـال سـبحانه : {لاتعتـذروا قـد كفرتـم} أي : بفعلكم هذا ولو لم يكن عن اعتقاد.. ومنه تعـرف أن سـاب الله أو الدين أو الرسول صلى الله عليه وسلم يكفـر سـواء كان هازلاً أم جاداً، وسـواء اعتقـد حـل ذلـك السـب أم لـم يعتقده، فإن قيل : فلِمَ لَـمْ يقتلهـم النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم ما داموا قد كفروا وارتدوا بقـولهم ذاك؟؟.قلنـا : قـد أجاب شيخ الإسلام على ذلك من وجوه عديدة منهـا : أنهـم لاذوا بالتوبة كما في خبر سبب النزول وهو ظاهر من قـوله تعالى : {إن نعف عن طائفة منكم نعذّب طائفة بأنهم كانوا مجرمين} فمن تاب منهم توبة نصوحاً عفا الله عنـه، ومـن تاب نفاقاً وخوفاً من سلطان الحق في الـدنيا عصـمه ذلـك في الدنيا فقط أما يوم القيامة فمصيره مصـير المنـافقين، ولذلك تركهـم النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم ولـم يقتلهـم جميعاً.. وهذا القول نصره أيضاً الإمام ابن حزم .

2. الأدلة من السنة المشرفة : قصـة قتـل كعـب بـن الأشرف اليهودي، الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاهده على أن لا يُعين الكفـار عليـه ولا يُقـاتله.. لمـا سـبَّ النبي وهجاه، قال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم كمـا في الحديث المتفق عليه : (مَنْ لِكعب بـن الأشـرف؟ فـإنه قد آذى الله ورسوله) فقام محمد بن مسلمة فقال : أنـا يـا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قـال : نعـم.. الحـديث . وفيـه قصة قتلـه وأن ذلـك كـان اغتيـالاً مـن غيـر قتـال جيـش أو معركة..فهذا معاهد معصوم الدم والمال؛ ومع هذا لما سب النبي صلى الله عليه وسـلم نقـض عهـده الـذي فيـه أمـانه وعصمته، وقُتل. والحديث مما احتج به الشافعي رحمه الله تعالى على أن الذمي إذا سب النبي صلى الله عليـه وسـلم قتل وبرئت منه الذمة. والذمي : هو اليهـودي أو النصـراني ونحوهمـا ممـن يـدفع الجزيـة للدولـة المسـلمة ويخضـع لحكمها، ويحترم دين المسلمين ولا يجاهر بشركه أو كفــره

---

[76] سورة التوبة : 65.

بينهم.. فمن باب أولى إذن أن يُقتل من لا عهد له ولا ذمة إذا سب الله أو الرسول صلى الله عليه وسلم أو دين المسلمين..وكذلك المنتسب إلى الإسلام إذا سب، فإنه إذا كان الكافر المعاهد النصراني أو اليهودي أو غيرهم يُقتل إذا ما سب ديننا أو نبينا صلى الله عليه وسلم وهو لا يؤمن بنبينا صلى الله عليه وسلم ولا بديننا، بل يعتقد بطلانه ولا يتبعه.. فمن باب أولى أن يُقتل من يزعم الإسلام ويعلم أن الإسلام حق ويشهد بأن الله ربه ومولاه وأن محمداً رسول الله ثم يسب الله تعالى أو دينه الحق أو رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم.

3. الأدلة من الإجماع :

أ. قال اسحق بن رهويه : (أجمع المسلمون أن من سب الله و رسوله أو دفع شيئا مما أنزل الله أو قتل نبيا من أنبياء الله أنه كافر بذلك وإن كان مقرا بكل ما أنزل الله) 7 7) .

ب. قال محمد بن سحنون - وهو أحد الأئمة من أصحاب مالك - : (أجمع العلماء أن شاتم النبي المنتقص له كافر، والوعيد جارٍ عليه بعذاب اللهِ، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك فِي كفره وعذابه كفَر) (78).

الخلاصة : وبعد هذه الجولة في أدبيات الحزب يتبين لك واضحا أن الحزب مضطرب أيما اضطراب في فهم باب الإيمان , وأن تخليطاته فيه مدفوعة عن تأصيل العلماء , وشقشقاته بعيدة عن تقعيد الفقهاء , فهو ينحى منحى غلاة المرجئة في رؤيته لفروع هذا الباب وفي نفس الوقت يقول بتأصيل مرجئة الفقهاء تارة ويقول أهل السنة تارة أخرى , ولا يستغرب البعض أن الحزب في باب الإيمان جهمي جلد , فالحزب يعتبر الجهم بن صفوان من علماء المسلمين (79) !! رغم أن علماء التابعين فمن بعدهم نسبوه إلى الكفر تعييناً و نصوا على ذلك تحذيرا للأمة من

---

(77) الصارم المسلول لشيخ الإسلام ص 40 .

(78) البرهان للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ج 1 ص 26

(79) يقول الحزب في الشخصية ج 1 ص 121: (حين تسربت للمسلمين مسائل فلسفية تتعلق بأبحاث في الإلهيات صار بعض العلماء في أواخر العصر الأموي و أوائل العصر العباسي كالحسن البصري و غيلان الدمشقي و جهم بن صفوان يتعرضون لمسائل كلامية متفرقة و معدودة..)

ضلالاته , بل إن عبد القاهر البغدادي ينقل اتفاق أصناف الأمة على تكفيره فيقول : (و أكفره أصحابنا في جميع ضلالاته و أكفرته القدرية في قوله بأن الله تعالى خالق أعمال العباد, فاتفق أصناف الأمة على تكفيره) [®] .

وإن كان لي من نصيحة في هذا المقام, فإني أدعو المسلمين على اختلاف طوائفهم و تنوع حركاتهم و أحزابهم للعودة إلى فهم الكتاب و السنة بفهم سلف الأمة, فقد كانوا أحسن طريقة و أقصد هداية , معدن العلم و كنز الإيمان و جند الرحمن, و أخص التحريريين بقولي : إن هذه الورقات لم تخرج – إن شاء الله – عن آية محكمة أو سنة صحيحة أو قول عالم سني , فإن قبلتموها فبها و نِعمّت , وإن رددتموها فحاجّوها بالبرهان لا بالبهتان, و أذكركم بأن تكونوا ممن مدحهم الله عز و جل في قوله : (الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم أولوا الألباب) [(*)].
وصلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه.

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

أخوكم الداعي لكم بكل خير
أبو البيان الوهابي الأثري
5 /رمضان/1424هجري
31/أكتوبر/2003ميلادي

ملحق [(*)]
خطاب الاستقالة الذي وجهته إلى الحزب

بسم الله الرحمن الرحيم

[®] الفرق بين الفرق للبغدادي ص 159.
[(*)] سورة الزمر آية 18.
[(*)] أورد هذا الخطاب إجابة على كثير من السائلين عن حقيقة خروجي من الحزب بعد هذه السنين من التنظير لفكره و الذود عن آرائه,وإني أسأل الله عز وجل أن يهديني إلى ما اختلف فيه من الحق.

أخي الكريم : أمير حزب التحرير المحترم : علمنا الإسلام النصح لله و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم , ولذلك قررت أداء هذا الواجب لإخوة لي – أظن فيهم الخير – شاركتهم عناء العمل لتعبيد الناس لربهم بإقامة دولة التوحيد ردحاً من الزمن , راجيا من الله أن يجري الخير على يديّ وإن كنت أعلم وجود الكثير من العوائق في الحزب حالياً و التي تحول بين الحزب و بين سماع الحق, والتي منها مفاهيم الطاعة العمياء و الثقة الخرقاء التي أشعتموها بين الشباب على إثر فتنة الانشقاق التي عاشها هذا التكتل.

إن الشارع الحكيم أخبرنا أن البشر و هيئاتهم ليسوا حكاما في الشرع وإنما هم محكوم عليهم, ولذلك جاءت النصوص الشرعية برد الأمر إلى كتاب الله و سنة رسوله , قال تعالى في سورة النور : (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا و أطعنا) و قال عليه الصلاة و السلام : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) حديث صحيح, ومن الرد إلى كتاب الله و سنة رسوله اتباع فهم سلفنا الصالح من الصحابة ومن سار على دربهم من التابعين , قال عليه الصلاة و السلام : (افترقت اليهود على إحدى و سبعين فرقة و تفرقت النصارى على اثنتين و سبعين فرقة , وتفترق أمتي على ثلاث و سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) قال : (هي ما أنا عليه و أصحابي) و في رواية : (هي الجماعة) وقد عدّه الكتاني في نظم المتناثر متواترا و في فيض القدير للمنّاوي أن السيوطي عدّه متواترا .

و إذا حاكمنا الحزب إلى نصوص الشريعة الغرّاء بفهم سلف الأمة , وإذا حاكمناه إلى التجارب السابقة التي خاضتها الأمة نجد أن الحزب يعاني من مشاكل تعوقه عن تحقيق غاية المسلمين اليوم وهي الاستخلاف و التمكين , ويمكن إجمال هذه المشاكل فيما يلي :

أولا : مخالفة الحزب لعقيدة أهل السنة و الجماعة :

بناء على ما تقدم و هو أن حديث افتراق الأمة متواتر – كما أثبتناه–و هو يفيد أن سبيل النجاة هو اتباع عقيدة الفرقة الناجية أي : (ما أنا عليه و أصحابي) يكون أي خروج عن هذه العقيدة فسق أو كفر بحسب حالاته, والملاحظ لعقيدة الحزب يجد بأنها و إن سلمت في أصل التوحيد و أركان الإيمان , إلا أنه يقف حائرا أمام بعض المعتقدات التي صرح الحزب بها في ثقافته و أدبياته و التي تخالف ما عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه الكرام, وهذه المخالفات هي :

1. مفهوم الحزب للإيمان : ينظر الحزب إلى الإيمان على اعتبار أنه : (التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل) و هذا المفهوم يطابق ما عند المرجئة في نظرتها للإيمان حيث جعلته التصديق و نفت أن تكون هناك أعمال تؤدي بصاحبها إلى الكفر, فالكفر الأكبر عندها : (جحود و استحلال) ومع أن الحزب يكفر بالأعمال (قال الحزب يكفر المرء : بالاعتقاد+الشك+القول+العمل) إلا أنه اضطرب في قضية مهمة في واقعنا المعاصر وهي : كفر حكامنا المستبدلين لشريعة الرحمن الهاجرين بالكلية للقرآن.

يرى الحزب أن : (هؤلاء و إن كانوا يدخلون تحت حكم التقيّد بالشرع , فإن الله أخبر عنهم بالذات بأنهم إذا حكموا بغير ما أنزل الله فهم كافرون أو ظالمون أو فاسقون, فإذا كانوا يعتقدون بعدم صلاحية الإسلام للحكم و القضاء..فإنهم كفار و لا شك لأن الله عناهم بقوله (فأولئك هم الكافرون)و لأنهم لا يؤمنون بصلاحية الإسلام للحكم و القضاء فهم يكفرون به..إما إذا كانوا يؤمنون به و لكن مجاراة للكفار قبلوا الحكم بغيره إما خوفا و إما عن قناعة بأنهم غير قادرين على تطبيقه فهؤلاء ظالمون فاسقون) (التقيّد بأحكام الشرع – الدوسية الفقهية ص 248).

و عند محاكمة هذا الرأي إلى الكتاب و السنة بفهم سلف الأمة , نجد أن هذا المفهوم يعارض ما هو قطعي, حيث إن الإيمان له معنيان يرد بهما في النصوص الشرعية :

1) المفهوم الخاص المقابل للعمل : (و هو التصديق الجازم) و غايته التفريق بين العقيدة و الحكم الشرعي من حيث أحكامهما.

2) المفهوم العام المقابل للكفر : (وهو اعتقاد بالجنان و قول باللسان و عمل بالجوارح و الأركان) و غايته التفريق بين الكفر و الإيمان و المؤمن و الكافر , روى ابن تيمية في كتابه الإيمان عن الشافعي أنه قال : (وكان الإجماع من الصحابة و التابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : الإيمان قول وعمل و نية لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر)و لا شك أن المستبدلين لشريعة الرحمن تركوا جنس العمل بالأحكام الشرعية فاستحقوا الحكم بالتكفير.

و زيادة في البيان : للنظر في كفر إبليس و كفر فرعون و كفر اليهود, أما إبليس فلا يناقشنا أحد في كونه يصدق بالمطلوبات العقدية تصديقا جازما مطابقا للواقع عن دليل, إذن على أي وجه كفر إبليس – عليه من الله اللعائن – ؟ قال تعالى في سورة البقرة : (و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر و كان من الكافرين) أي أن كفره أت من جهة استعلائه عن متابعة أمر الله فتنبه.

أما فرعون فإن كفره – قبحه الله – آت من وجهين :

1) دعواه الربوبية : (أنا ربكم الأعلى) .
2) دعواه الإلهية : (ما علمت لكم من إله غيري) و (ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد) و الإلهية : استحقاق الطاعة و المتابعة, ومن لم يكفر من حكامنا بالأولى كفر بالثانية – ولا حول و لا قوة إلا بالله – ..

أما اليهود فإنهم مع اعتقادهم بنبوة محمد – عليه الصلاة و السلام – و بأن ما جاء به الحق كفروا لعدم متابعتهم شريعة الله و التي أتى بها محمد – صلى الله عليه و سلم – .

ربما يقول أحد الدخلاء على فهم الشريعة من متعصبة العصر – طهر الله زماننا منهم – أن فتوى الحزب :

(التفريق بين المستحل الجاحد و المقر المعترف) هي عين فتوى ترجمان القران ابن عباس و التي نقلها الطبري في تفسيره : (من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن لم يحكم به و أقر فهو ظالم فاسق) و يجب التنبه هنا إلى ما يلي :

أ. أن فتوى ابن عباس – رضي الله عنه – صحيحة, ومعاذ الله أن نسيء الأدب مع صحابة رسول الله – عليه الصلاة و السلام – .

ب. ولكن مناط هذه الفتوى ليس واقعنا المعاصر, ففتوى ابن عباس – رضي الله عنه – تتنزل على واقعه الذي عاشه وهو حكام مسلمون أساءوا التطبيق في بعض القضايا, وليس استبدلوا شريعة الكفران بشريعة الرحمن.و إذا سلمنا جدلا بصحة إنزال فهم ابن عباس على واقعنا المعاصر و ردة الحكام الحاضرة , فإن حكامنا لا يحكمون بما أنزل الله مجاراة للكفار بل و يعينون الكفار على أهل الإسلام و هذه ردة باتفاق أهل الإسلام(انظر التبيان في كفر من أعان الأمريكان للشيخ ناصر الفهد).

2. **مفهوم الحزب لعذاب القبر :** لن أناقش في مفهوم الحزب و نظرته للآحاد و العقيدة , وسأحاكم الحزب على أساس فكرته و هي أن الآحاد لا يؤخذ في العقيدة مطلقا, وإن كنت أنصح بمراجعة الرأي القائل : إن الآحاد إذا تلقته الأمة بالقبول أصبح قطعيا لاستحالة إجماع الأمة على الخطأ, وعليه : إن قول الحزب إن أحاديث عذاب القبر آحاد و شيوع هذه البدعة بين الشباب (قال الحزب في جواب سؤال : (و مسألة عذاب القبر و مسألة نزول عيسى فإنهما و إن قال الشوكاني أنهما متواترتان فإن غيره لم يعتبرهما متواترتين , فإن العلماء اختلفوا في النظرة إلى المتواتر...) (الملف الفكري ص 138) يستلزم مراجعة هذا الرأي لا سيما و أن رواة عذاب القبر من الصحابة بلغوا الأربعين و خمسة عشر صحابيا منهم في الصحيحين , وقد قام أخ كريم لنا بتحقيق المسألة جامعا أقوال العلماء و مدققا في الرواة الفضلاء بشكل لا يحل معه التواني في اتباع الحق (أرسله مرفقا).

و يلحق بهذه المسألة أمر آخر و هو فتنة القبر : فإن أحاديثها متواترة من رواية (28)صحابياً كما قال الكتاني في نظم المتناثر , وقال صاحب شرح الصدور : (تواترت الأحاديث بذلك مؤكدة) (ص 170).

3. **مفهوم الحزب لنزول عيسى – عليه السلام – :** و قد مرّ قول الحزب في ذلك , وهذا مصادم لعقيدة الفرقة الناجية و الطائفة المنصورة و التي أثبتت عقدية هذا الموضوع و تواتره, و قد أورد الشوكاني في توضيحه(29) حديثاً حول الموضوع ما بين صحيح و حسن و ضعيف منجبر, وساند هذا القول ابن كثير في تفسيره , وقال شيخ المحدثين الألباني – رحمه الله– في تخريجه للطحاوية ص 501 : (و اعلم أن أحاديث الدجال و نزول عيسى عليه السلام متواترة يجب الإيمان بها و لا تغتر بمن يدّعي فيها أنها أحاديث آحاد فإنهم جهال بهذا العلم, ليس فيهم من تتبع طرقها و لو فعل لوجدها متواترة كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر و غيره , ومن المؤسف حقا أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم لا سيما و الأمر دين و عقيدة) .

4. **مفهوم الحزب للمهدي :** فالذي عليه أهل السنة و الجماعة أن خروج المهدي معتقد لا يحل عدم الإيمان به و أن أحاديثه متواترة و القول بغير مجانب للصواب و استخفاف بالألباب (أرسل إليكم بحثا مرفقا للأخ حيزوم الأطلسي) .

ثانيا : التعصب الحزبي :

يقول الحزب في أجوبة أسئلة : (و على ذلك فإن التبني من حيث هو إذا نفيت عنه القداسة والعصمة نفيا باتا و كان له مقياس و سار على قاعدة السير في طريق الكمال فإنه يكون ضامنا لتحقيق النهضة و الحيلولة دون الانتكاس..) و يقول : (و فوق ذلك فإن الحزب ككل و كل فرد من أفراده ينفي بشدة و بقوة كل ما من شأنه أن يضفي أي قداسة مهما قلت على الأفكار , ويكرر دوما أن ما تبناه صواب يحتمل الخطأ فيحارب كل قداسة للأفكار , وفي نفس الوقت لا يجعل أفكاره في مهب الريح , فالأصل فيها أنها صواب وأما كونها خطأ فهو مجرد احتمال و إثباته يحتاج إلى

البرهان و الدليل) هذا الذي قرره الحزب , والمشاهد الآن أن التبني لا تنفى عنه القداسة في عقليات شباب الحزب لا سيما بعد حركة أبي رامي – رحمه الله – (*) فأصبح حال مسؤولي الحزب أنهم يرسخون (80) بين الشباب مفاهيم التعصب الحزبي من مثل : (المحاسبة نقيض الثقة) و (عصمة الحزب) و غيره.

و قد حاولت فيما مضى التنبيه إلى خطر التعصب الحزبي , فكتبت نص حلقة شهرية بعنوان : (الإبداع في حمل الدعوة)دعوت فيه إلى تحقيق فكرنا ومن ثم تجذيره : (أي زيادة كمية الأدلة المنصبة على صحته) و إلى الاطلاع على ثقافة غيرنا فرفض هذا الموضوع لا أدري لماذا؟!!.

و لولا خشيتي من صرف جهود الأمة فيما لا فائدة فيه الآن لصنفت المؤلفات الطوال في بيان فساد حال متعصبة العصر, فتحذير الأمة من اللصوص و قطاع الطرق فرض لا يحل تركه إلا إذا تعارض مع فرض آخر.

ثالثا : بوليسية الكثير من المسؤولين :

إن أحداث فتنة الانشقاق أشاعت أجواء الريبة بين مسؤولي الحزب , ودفعت الكثير منهم إلى استخدام أساليب التنقيب عن الصدور و ترقب خطرات النفوس, وصار ديدن الحزب التحذير من الشاب الفلاني لأنه غير مطيع و تنبيه الشباب إلى أن بينهم فلان و هو يرى خطأ التبني في شأن ما , وصارت الصداقات ينفرط عقدها لمجرد الخروج من الحزب – و لا حول ولا قوة إلا بالله – وقد عشت أكثر من مرة جلسات بدا فيها التنقيب عن الصدور و ترقب خطرات النفوس لو عشتَها لوليتَ منها فرارا و لملئتَ منها رعبا.
أخيرا : إن هذه النصيحة و التي أبتغي بها وجه الله أمانة في عنقك أخاصمك بها يوم القيامة فاتق الله و قد بلغت من الكبر عتيا, وإنني – و إذ أخرج نفسي من الحزب و أتحلل من القسم تنفيذا لوصية صاحب الشرع عليه الصلاة و السلام : (إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت

(*) محاولة للانشقاق عن الحزب.
(80) بلسان الحال إن لم يكن بلسان المقال.

الذي هو خير و كفر عن يمينك) حديث صحيح – أذكرك بموافاتي بالإجابة على ملاحظاتي.

وفقك الله و سددك إلى الصواب

أخوكم : أبو البيان الأثري / بيت المقدس

تم تنـزيل هذه المادة من منبر التوحيد والجهاد

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.com
http://www.alsunnah.info